جورج آلن إنجلاند

جاء من الفضاء البعيد

ترجمة رفيدة جمال

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

جاء من الفضاء البعيد

رواية مترجمة..

چورچ آلن إنجلاند

ترجمة: رفيدة جمال

عن الرواية..

"فيما يلي قصة مذهلة للكاتب جورج آلن إنجلاند. وينبغي قراءتها بعناية وبمخيلة طليقة.
- تطرح قصة السيد إنجلاند موضوعًا خارقًا وتيمة غير مألوفة: إذا وضعنا الحشرات على طاولة التشريح لدراسة بنيتها وتركيبها، فما المانع من أن يفعل ذكاء فائق الأمر ذاته مع البشر؟!
ومن المؤكد أن هذا الذكاء، حسبما نفهمه، لا يوجد على كوكب الأرض. كما أنه من غير الصائب افتراض أنه قد يتخذ مظهرًا من لحم ودم أو مظهر الكائنات الحية.وليس هناك ما يدعو للاعتقاد بأن الذكاء الفائق قد لا يتواجد في أشكال غازية أو هيئات غير مرئية، شيء ليس بوسعنا تخيُّله اليوم".
(من تقديم الكاتب والمحرر: هوجو جيرنزباك للقصة عند نشرها للمرة الأولى في مجلة: "قصص مذهلة").

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

مقدمة..

نشر الكاتب «George Allan England» هذه القصة للمرة الأولى في أبريل عام 1926 في العدد الأول من مجلة «Amazing Stories»، بعنوان: «The Thing From Outside».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تحلقت حول نار المخيم تلك الجماعة الأمريكية الصغيرة المتراجعة نحو الجنوب من خليج «هدسن»، اتقاءً للبرد القارص. جلسوا هناك في تبلد بفعل رهبة الشمال والاضطراب الذي ألقته رحلة اليوم في نفوسهم. وأخذ الرجال الثلاثة يدخنون. واقتربت المرأتان من بعضهما بعضًا. وانعكس وهج النيران على وجوههم في ظلمة الليل بين أشجار «التنوب» القصيرة. وند عن نهر «آلباني» خرير يشي بإسراعه للهروب من البراري، والوصول إلى خليج «هدسن».

قال البروفيسور «ثوربرن» بصوت جاف كطبعه:

- لا أفهم دافع الأدلّاء لمفارقتنا بسبب علامة دائرية على سلسلة الصخور. إنه أمر في غاية الغرابة!

أجاب «جاندرن»، عالِم الجيولوجيا في الجماعة:

- إنهم يعرفون معناها. وأنا كذلك.

ثم أردف وهو يفتل شاربه المشذب وعيناه الرماديتان تتألقان:

- لقد سبق ورأيت علامات كهذه. كان ذلك في منطقة «لابرادور». ورأيت أمورًا تقع أينما توجد.

علقت زوجة البروفيسور:

- بالتأكيد حدث شيء للأدلاء، قبل أن يقطعوا ميلًا واحدًا في الغابة.

أخذت شقيقتها «□ي□يان» تحملق في النيران، التي كشفت عن جمال لم تفلح قلنسوتها الصوفية ولا سترتها المحبوكة في إخفائه.

أضافت زوجة البروفيسور:

- إن الرجال لا يطلقون النيران بجنون ولا يصرخون بهذا الشكل إلا إذا...

قاطعها «جاندرن»:

- لقد ماتوا جميعًا على كل حال، وابتعدوا عن مرمى الخطر. ولكن نحن... حسنًا، إننا نبعد مسافة مئتين وخمسين ميلًا لعينة عن السكة الحديدية الكندية في منطقة المحيط الهادئ.

قال الصحفي «مار»:

- انسَ الأمر يا «جاندي». إن أعصابنا متوترة فحسب، هذا كل ما في الأمر. أعطِني بعض التبغ. شكرًا. ستتحسن أحوالنا في الصباح. والآن، بمناسبة الحديث عن الأشباح وغيرها...

ثم شرع يحكي كيف أنه ذات مرة فضح وسيطًا روحانيًّا محتالًا، مُثبتًا - برضا - أنه لا يوجد شيء يتجاوز نطاق الحياة اليومية للبشر. لكن لم يُولِه أحد اهتمامًا. وران الصمت على المعسكر الليلي الصغير في البراري، صمت مشئوم.

ومن الفضاء الشاسع البعيد عن عالَم البشر التافه راقبتهم نجوم شاحبة باردة.

في اليوم التالي، كان «جاندرن» يتناول الطعام عند سلسلة صخور على بُعد أميال من المنبع، واكتشف علامات أخرى. استدعى بهدوء الرجلين الآخرين. وتفحصوا العلامة، بينما انشغلت المرأتان بجوار النيران. كانت علامة بريئة المظهر؛ مجرد حلقة يبلغ قطرها أربع بوصات تقريبًا، تجويف يتخذ شكل كأس وله منتصف بارز. وكانت تغلفها طبقة لامعة، كأن الجرانيت انصهر بفعل الحرارة.

ركع «جاندرن»، ببنيته القوية وبنطاله القماشي الزاهي من نوع يُسمَّى «ماكيناو»، وبإصبع مرتجف وحاجبين منعقدين تفحص المنحنى الأملس للعلامة.

قال بصوت غريب:

- من الأفضل أن نبتعد عن هذا المكان بأسرع ما يمكن. لديك زوجتك لتحميها يا «ثوربرن». وأنا... حسنًا، لديَّ « □ي□يان » و...

قاطعه «مار» بحدة وقد لمعت عيناه الضيقتان بغيرة بغيضة:

- حقًّا؟ إنك بحاجة إلى طبيب أمراض عقلية!

قال البروفيسور مؤنبًا:

- يجب ألا تطلق لخيالك العنان يا «جاندرن»!

رد عالِم الجيولوجيا بحدة:

- أظن أن خيالي هو ما جعل هذه العلامة باردة!

وصنعت أنفاسه فوقها دوامات لولبية باهتة من البخار.

قال «ثوربرن» بحسم وهو يحني جسده النحيف مستكشفًا العلامة:

- إنها مجرد ثقب.

وبدا أن نشاطه قد تركز في رأسه الكبير الذي يحوي آلة تفكير مذهلة. ثم وضع يده النحيلة على مؤخرة رأسه وفركها كأنما تؤلمه. وبدافع لا يُقاوَم، مرر إصبعه الرفيع على العلامة. ثم قال معترفًا:

- يا إلهي! إنها باردة! ويبدو كأنما انطبعت في الصخرة تمامًا. أمر عجيب!

قال عالِم الجيولوجيا مصححًا:

- تقصد أن البرودة أذابتها.

ضحك الصحفي باستهزاء وقال ساخرًا:

- انتظِر وستقرأ في الصحف: «عالِم جيولوجيا شهير يقول إن شبحًا متجمدًا يذيب الجرانيت!».

تجاهله «جاندرن». وجلب بعض الماء من النهر، وصبه على العلامة.

هتف البروفيسور:

- ثلج! ثلج صلب!

أضاف «جاندرن»:

- تجمد في ثوانٍ. ولن يذوب أيضًا. صدِّقوني لقد رأيت مثل هذه الحلقات من قبل، وفي كل مرة تحدث أمور مروعة. أمور لا تُصدَّق! «شيء» أحرق هذه الحلقة في الصخرة، أحرقها بفضاء نجمي بارد. «شيء» بوسعه أن يُسخِّر البرودة ويُطلِقها على المادة. «شيء» يمكنه أن يقتل المادة، ويمحوها محوًا.

أخذ «مار» يحدق، ثم قال هازئًا:

- بالطبع كل هذا محض هراء!

لكن ذهنه بدا خاويًا.

استأنف «جاندرن» كلامه:

- هذا «الشيء»، هذا «الكائن»، لا يمكن القضاء عليه بطلقات الرصاص. لقد فتك بمرشدينا في أثناء فرارهم في البراري. يا لهم من حمقى مساكين!

سقط ظِل على العلامة. ظهرت السيدة «ثوربرن». كانت تقف هناك وقد سمعت بضع كلمات مما قاله «جاندرن». هتفت:

- كلام فارغ!

لكنها كانت ترتجف فلم تقوَ على إضافة المزيد.

في تلك الليلة، بعد نهار طويل قضوه في التجديف ونقل القوارب، ومقاومة موانع كابوسية، خيموا على صخور منحدرة تميل نحو النهر.

لما فرغوا من العشاء قال البروفيسور:

- على كل حال لا ينبغي أن نخاف. أعلم أن ثمة شائعات عن بعض الأشياء الغريبة بشأن البراري، وأن العديدين خرجوا منها مجانين. ولكننا نمتلك تفكيرًا ساميًا، ولن ندع الطبيعة تتلاعب بنا!

أضافت زوجته، وذراعها تُطوِّق «□ي□يان»:

- بالطبع كل شيء في العالم هو قوة طبيعية. لا توجد قوة خارقة البتة.

قال «جاندرن»:

- أتفق معكِ. ولكن ماذا عن الأشياء خارج العالم؟

قال «مار» بتهكم:

- ويدعونك عالِمًا؟

لكن البروفيسور مال إلى الأمام، وقطَّب جبينه، وغمغم متذمرًا:

- همم!

ثم خيَّم صمت قصير.

تساءلت «□ي□يان»:

- أتعني أن ثمة حياة وذكاء بالخارج؟

نظر «جاندرن» إلى الفتاة، التي طوقها لون ذهبي متورد بفعل النيران. عذبه جمالها. وأجاب:

- نعم، وحياة خطيرة أيضًا. أنا متيقن تمام اليقين مما رأيته في الشمال!

خيَّم الصمت مرة أخرى، عدا طقطقة ألسنة اللهب، وسقوط إحدى الجمرات، وخرير النهر. وأحال الظلام البراري إلى دائرة من ضوء مضطرب تحيط بها الغابة والنهر، وتطل عليها نجوم شاحبة.

قال البروفيسور:

- بالطبع لا تتوقع أن يأخذ عالِم كلامك على محمل الجد.

- إنني واثق مما رأيت! صدِّقوني ثمة شيء يفوق إدراك البشر.

قال الصحفي متهكمًا:

- يا لك من مسكين!

ولكن بينما كان يتكلم ضغط بيده على جبهته.

أكد «جاندرن» بإصرار عنيد:

- هناك أشياء خفية لا نعرف عنها شيئًا.

أشعل غليونه بعود متقد. وكشف اللهب عن وجهه المنهك المتغضن. ثم أردف:

- أشياء. أشياء تتعامل معنا مثلما نتعامل مع النمل. وربما أقل.

خمد لهب العود الصغير. وقف الليل على مقربة يتفرج.

تساءلت الفتاة:

- لنفترض أن هناك شيئًا. ما علاقته بالعلامات على الصخور؟

أجاب «جاندرن»:

- ربما كانت علامات تركتها تلك الأشياء. ربما آثار أقدام. «الشيء» قريب منا، هنا والآن!

خدشت ضحكة «مار» السكون الطويل. وهتف:

- أنت الحائز على أرقى الشهادات العلمية تقول هذا؟!

رد «جاندرن» بحدة:

- كلما ازدادت معرفتك بهذه الأشياء، اتسع فهمك لها. إنك جاهل بالأمر فحسب.

قال البروفيسور بجزم:

- لكن لم يعترف أبدًا أي عالِم بتدخل خارجي في هذا الكوكب.

- أجل، مثلما لم يعترف أحد لآلاف السنين بأن الأرض كروية. إنني واثق مما رأيت.

تساءلت السيدة «ثوربرن» وهي ترتجف:

- حسنًا، ماذا رأيت؟

- اعذروني من فضلكم لأنني لن أحكي عن هذا الأمر الآن.

قال البروفيسور مُصرًّا بنبرة جافة:

- تقصد لو أن... همم! هذا «الشيء» المفترض يريد أن...؟

- أجل! لو أرادنا سيفعل أي شيء لعين يفوق تصورنا...

- لكن ماذا تريد تلك الأشياء منا؟ لماذا جاءت إلى هنا بأي حال؟

أجاب «جاندرن» بحسم وضيق غريب:

- لأسباب متباينة؛ تارةً من أجل الأشياء غير الحية، وتارةً أخرى من أجل الكائنات الحية. والحق أقول لكم إنهم قد جاءوا إلى هنا عدة مرات، وحصلوا على ما أرادوا، ثم ذهبوا، إلى مكان ما. لو أرادنا واحد منهم، لأي سبب كان، سيأخذنا ولا مفر. وإن لم يُردنا، سيتجاهلنا، مثلما نتجاهل الغوريلا في أفريقيا لو كنا نبحث عن الذهب. لكن لو كنا نريد فراء الغَوريلا، سيكون هذا أمرًا مختلفًا تمامًا للغوريلا، أليس كذلك؟

تساءلت «□ي□يان»:

- وماذا تُراه يريد منا هذا الـ... حسنًا، هذا «الشيء» القادم من الخارج؟

- ماذا يريد البشر من «خنازير غينيا» مثلًا؟ يستخدمونها في التجارب بالطبع. إن الكائنات الأسمى تستخدم الأدنى منها لتحقيق غاياتها الخاصة. والاعتقاد بأن الإنسان هو أسمى نتاج للتطور هو غرور صارخ. أليس من المحتمل أن يرغب كائن أسمى في إجراء التجارب على البشر؟

سأل «مار» بإلحاح:

- لكن كيف؟

- إن العقل البشري هو أعلى شكل منظم من المادة على ظهر الكوكب. لنفترض الآن...

قاطعه البروفيسور:

- هراء! لنخلد جميعًا إلى النوم. وكفانا من هذا الحديث. لديَّ صداع مؤلم. دعونا نرسُ في خليج حقائب النوم!

انصرف هو والمرأتان، في حين جلس «جاندرن» و«مار» لبرهة بجوار النيران. وطفقا يغذيانها بالمزيد من الحطب بسبب البرودة غير الطبيعية التي تخللت هواء الليل. احترقت النيران بلون أزرق غريب، مُطلِقة شررًا أخضر.

أخيرًا، بعد مناقشات لاذعة، اتجه عالِم الجيولوجيا والصحفي إلى حقيبتَي نومهما. كانت النيران مصدرًا للراحة؛ ليس لأنها تشكل درع حماية من ذلك «الشيء» القادم من الفضاء البعيد، بل لأنها كانت تبعث على الراحة بشكل معنوي. من الصعب محو غرائز ملايين السنين التي كانت فيها النيران وسيلة للحماية.

وما هي إلا هنيهة حتى غط الجميع في النوم، بعد تعب من يوم حافل بالإجهاد والأعصاب المتوترة، وإنهاك من مقاومة التيارات السريعة، وهروب من شيء غير مرئي وغير ملموس.

طل من فوقهم الفضاء السحيق، المرصع بالنجوم، ببرودة هائلة وخارقة تفوق تصوُّر البشر.

كان «جاندرن» أول المستيقظين عند الفجر الأحمر.

اختلس النظر إلى النيران وهو يزحف من حقيبة النوم. كانت خامدة. ولكن معظم الحطب لم يحترق بالكامل، كأنما وُضِعت فوقه طوال الليل مطفأة حريق ضخمة.

غمغم «جاندرن»:

- همم!

ثم ألقى نظرة خاطفة على سلسلة الصخور.

- هناك علامات أيضًا. كنت واثقًا!

أيقظ «مار». برغم عدوانية الصحفي وسخريته، فإن «جاندرن» شعر بأن بينهما قواسم مشتركة؛ إذ كان في مثل سنه، أكثر مما شعر نحو البروفيسور، الذي كان على مشارف الستين. قال:

- انظر! لقد كان «الشيء» هنا. أترى؟ لقد أطفأ النيران، ربما أزعجته، بطريقة ما، وطاف حولنا، في كل مكان.

ثم أضاف والغضب يطل من عينيه الرماديتين:

- أظن أن عليك أن تعترف بالحقائق الآن!

لم يتمالك الصحفي نفسه وأخذ يحدق مرتعشًا. وغمغم:

- ربَّاه! إن رأسي يؤلمني للغاية هذا الصباح!

فرك جبهته بيد مرتجفة، واتجه نحو النهر. لقد زال معظم اطمئنانه. وبدا في حالة مزرية.

قال «جاندرن» بإلحاح:

- حسنًا، ما قولك؟ أترى هذه العلامات الجديدة؟

رد «مار» بحدة:

- اللعنة على العلامات!

ثم أخذ يتذمر من شيء مبهم. اغتسل باضطراب، وظل جاثمًا عند مصب النهر، وقد اكتنفته حالة من الخمول والخدَر.

تفحص «جاندرن» بعناية سلسلة الصخور، برغم الألم في مؤخرة رأسه. وعثر على علامات متناثرة في كل مكان، بل كان بعضها في قاع النهر بالقرب من الشاطئ. وقد تجمدت بشدة المياه التي تجمعت على العلامات في الصخور. كما كانت كل علامة في قاع النهر بيضاء بفعل الثلج. ثلج لم يفلح التيار المندفع في إذابته. هتف:

- حسنًا، يا إلهي!

أشعل غليونه وحاول استجماع أفكاره. كان خائفًا بشدة. أجل، كان يشعر بالذعر الشديد. لكنه كان قوي الإرادة. والآن، بعدما استعاد بعض التركيز، لاحظ أن جميع العلامات كانت في خطوط مستقيمة، كل علامة تبعد عن الأخرى بمسافة قدمين تقريبًا. غمغم «جاندرن»:

- كان يراقبنا ونحن نيام.

تساءل «مار» وقد تهدل وجهه المرهق العابس:

- ما هذا الهراء الذي تقوله؟ ماذا؟ النيران والطعام الآن!

نهض ومشي بخطوات بطيئة غير مستقرة مبتعدًا عن النهر. ثم توقف وأخذ يحدق مرتعشًا. وأشار وهو يزدرد لعابه: - انظر! انظر إلى تلك البلطة!

أمسك «جاندرن» البلطة من المقبض، متجنبًا لمس الفولاذ. كان النصل مغطًّى بالصقيع الأبيض. ومن أعماقه، برز جزء من الحافة مطبوعًا عليه إحدى العلامات. علَّق قائلًا:

- لقد تلاشى المعدن تمامًا. امتُص بالكامل. إن «الشيء» لا يفرق بين المواد. المياه والفولاذ والصخر كلها سواء بالنسبة له.

صاح الصحفي:

- أنت مجنون! كيف لـ«شيء» يسافر على قدم واحدة ويثب، أن يترك علامات كهذه؟

- بوسعه أن يتدحرج لو كان يتخذ شكل القرص. و...

صيحة من البروفيسور جعلتهما يلتفتان؛ كان «ثوربرن» يمشي نحوهما مرتجفًا بخطوات متعثرة، ويمد يديه.

قال بصوت مختنق:

- زوجتي...!

كانت «□ي□يان» راكعة بجوار أختها في ذعر وذهول.

قال البروفيسور متلعثمًا:

- حدث شيء! هنا... تعالَيا إلى هنا...!

لم يكن بأيديهم شيء لإنقاذ السيدة «ثوربرن». كانت لا تزال تتنفس، لكن بصعوبة، وأصابها الشلل التام. عيناها جامدتان وشبه مفتوحتين، وقد اتسعت الحدقتان بشكل عجيب. ولم يفلح أي دواء في صندوق العقاقير الخاص بالجماعة في التأثير ولو بشكل ضئيل في المرأة.

ساد الهلع والاضطراب نصف الساعة التالية؛ ففضت الجماعة المخيم، وحملوا السيدة «ثوربرن» إلى أحد القوارب، وعجَّلوا بترك المكان الملعون بنشاط محموم وذعر مجنون. وقاوموا دوامات التيار المعاكس، يدفعهم الرعب. ودون تفكير في طعام أو شراب، أو الاهتمام بالمعالم الطبيعية، أخذوا يجدفون إلى الأمام مدفوعين بالرغبة الجامحة في المغادرة، ووضعوا كل ذرة من طاقاتهم في المجاديف. واختلطت أنفاسهم اللاهثة بأصوات الدوامات. ولم يعبأ الفارون بالأزيز العالي الذي أطلقته أسراب الذباب الأسود من حولهم. وطلت على البراري الشمالية شمس حجبها الضباب. وعلى الجانبين انتظرت الغابة وراقبت.

بعد ساعتين من العناء والعرق، بلغ بهم التعب مبلغه فتوقفوا، ولاذوا بخليج صغير تُطوِّقه المياه السوداء التي يتخللها الزَّبد. وهناك وجدوا زوجة البروفيسور ميتة!

دفنوها رغم رفض «ثوربرن» في البداية، والذي أصر كالمجنون على أنه سيُخرِج الجثة رغم الأخطار. لكن لا، مستحيل. وبعد وقت عصيب رضخ للأمر.

كان رد فعل «□ي□يان» مثيرًا للإعجاب برغم حزنها. كانت تعرف ما ينبغي عمله؛ فتلت الأدعية، وعوضًا عن الزهور وضعت أغصان «التنوب» على كومة الحجارة. ومن خلفها كان البروفيسور يفعل ما تفعل ويردد ما تقول في ذهول.

عند منتصف الظهيرة، اضطرت الجماعة إلى تناول الطعام، فهبطوا مجددًا بعد عدة أميال عديدة أعلى النهر. لم تشتعل النيران؛ إذ كانت في كل مرة تحترق ببطء ثم تخبو مُطلِقة دخانًا ثقيلًا وكثيفًا. أكل الفارون طعامًا باردًا وشربوا الماء، ثم انطلقوا في قاربين وهربوا مرة أخرى.

في القارب الثالث، المسحوب إلى حافة الغابة، رتبوا نماذج الصخور، والعينات، والآلات العلمية الغريبة. واحتفظوا بمفكرة «مار»، وبوصلة، وبعض المؤن، وأسلحة نارية، وصندوق الإسعافات.

قال «جاندرن» وهو يتأمل المكان جيدًا:

- بوسعنا العثور على الأشياء التي تركناها، في وقت آخر... في وقت آخر... بعدما يرحل «الشيء».

أضاف «ثوربرن»:

- ونجلب الجثة.

وللمرة الأولى ترقرقت الدموع في عينيه. لم تتبس «□يـ□يان» بكلمة. وحاول «مار» أن يشعل غليونه، وكأنما غاب عن ذهنه أن ما من شيء سيشتعل بعد الآن، حتى التبغ.

شغلت «□يـ□يان» و«جاندرن» قاربًا. بينما حمل القارب الآخر البروفيسور و«مار». ومن ثَم تعادلت قوة القاربين. واستمروا في التجديف ضد التيار.

جدف الفارون بطاقة مستميتة وخرقاء. وقرب المساء وصلوا إلى ما ظنوا أنه «ماماتاوان». وخيموا بعد ميل، حينما اختفت الشمس الضبابية وراء براري مترعة بالصمت المشئوم. وبذلوا جهودًا دءوبة لإيقاد النار. بل لم يفلح في إشعالها الكحول، الذي يحتفظون به في صندوق العقاقير. قرصهم البرد، فمضغوا بصعوبة قليلًا من الطعام، ثم انحشروا في حقائب النوم. وهناك رقدوا وفوق وجوههم ظلام ثقيل. وبعد فترة طويلة، في سماء عالَم يخلو من أي صوت عدا انسياب النهر، تسلل قمر أصفر لامسته القمم غير المستوية لأشجار الصنوبر. حتى عواء الذئب البري لكان سيبث الارتياح، لكن لم يعوِ أي ذئب.

أحاط بهم الصمت والليل. وداخلهم شعور بأن «الشيء» كان يراقبهم من كل مكان.

وبحماقة، مثلما يتصرف الإنسان بحمق في الأزمات، وضع «جاندرن» مسدسه خارج حقيبة النوم، في متناول يده. وقال لنفسه، وقد اختلطت أفكاره المشوشة بصداع غريب يسحبه: «لو مس شعرة واحدة من «□يـ□يان» سأقتله!».

لكنه أدرك أن من العبث إطلاق النار على زائر من الفضاء البعيد، ربما من البعد الرابع. لكن أفكار «جاندرن» بدت متشابكة. لا شيء يبدو على ما يرام. رقد هناك، مستغرقًا في كابوس حي. ومن حين لآخر، كان يستند على مرفقه، ويصيخ السمع، بلا جدوى. كان السكون يخيم على كل شيء.

شردت أفكاره في أيام باسمة، حينما كان الجميع في أتم عافية ويتحلون بالرزانة والتفاؤل، ولم يعكر صفوه شيء، عدا غيرة «مار» على «□يـ□يان». في تلك الأيام كان أزيز المقلاة على الفحم المحبب يبعث بالموسيقى في أنحاء البراري الجميلة، وكانت الرياح ونجم الشمال، وأزيز بَكرة الصيد، والدوامات الخافتة للمجداف في المياه الصافية، تبعث على السعادة. أجل، وحينما خفق قلبه في لحظات سعيدة بسبب كلمة أو نظرة من الفتاة. ولكن الآن...

- اللعنة! سأنقذها مهما يكن!

وأقسم قسمًا مغلظًا، لكنه كان يعلم في الوقت نفسه أنه لا مفر مما سيحدث. هل بوسع النمل أن يوقف قدم الإنسان الساحقة إذا حرك قرون استشعاره؟!

في الصباح التالي، والذي يليه، لم تكن ثمة علامة على ظهور «الشيء». وانتعش الأمل في أن يكون قد ابتعد إلى مكان آخر، ربما عاد إلى الفضاء البعيد. لقد قطعت المجاديف المحمومة أميالًا عديدة. وظن الفارون أنهم سيبلغون السكة الحديدية بعد أسبوع. اتقدت النيران مجددًا. وساعد الطعام الساخن والشراب على نحو رائع. ولكن أين السمك؟

عند الظهيرة، قال البروفيسور فجأة وقد صار عقلانيًّا مرة أخرى:

- أمر غريب للغاية. هل لاحظت يا «جاندرن» أننا لم نرَ أثرًا للحياة لبعض الوقت؟

أومأ عالم الجيولوجيا يؤكد ملاحظته. لكنه لم يُعلِّق.

قال «مار» موافقًا، وهو يستمتع بالدخان الذي عاد فجأة لسبب غير معلوم:

- هذا صحيح. لا فأر ولا قندس. ولا حتى سنجاب ولا طائر!

أضاف البروفيسور:

- ولا حتى بعوضة ولا ذباب أسود!

ولاحظ «جاندرن» فجأة أن مرأى هذه الحشرات كان ليفرحه.

في عصر ذلك اليوم، انتاب «مار» بغتة مزاج سيئ. وغمغم لاعنًا المرشدين، والتيار، والقوارب، وكل شيء. وبدا البروفيسور أكثر ابتهاجًا. وشكت «□ي□يان» من صداع مؤلم. فأعطاها «جاندرن» آخر حبوب من الأسبرين. وبينما كان يفعل ذلك، أمسك بيدها وقال:

- سأنقذكِ مهما كلف الأمر. لم أعد مهتمًّا الآن. لا أحد مهم سواكِ!

حدجته بنظرة طويلة صامتة. ورأى الدموع تترقرق فجأة في عينيها. وشعر بيدها تضغط على يده، وعلم أنهما لم يقتربا بهذا الشكل من قبل مثلما فعلا في تلك اللحظة تحت ظلال المجهول.

في اليوم التالي، أو ربما بعد يومين، فلم يكن أحد منهم واثقًا بشأن الوقت، وصلوا إلى معسكر أخشاب مهجور. وربما مر أكثر من يومين، لأن اللحم المقدد نفد، ولم تتبقَّ إلا القهوة، والتبغ، ومكعبات اللحم البقري، وبسكويت صلب غير مملح. وتناقصت الأسماك - بشكل مقلق - في الحقيبة القماشية. وفي ذلك اليوم، أيًّا كان، عانى أربعتهم من صداع من نوع دائري غريب، كأنما شيء مستدير يضغط على رءوسهم.

قال البروفيسور إن الشمس هي سبب الألم الذي أصاب رءوسهم. بينما عزته «□ي□يان» إلى الريح وبريق المياه السريعة. وزعم «مار» أنه بسبب الحرارة. وتعجب «جاندرن» من كل ذلك؛ إذ رأى بوضوح أن النهر توقف عن الجريان تقريبًا، وصار الجو ساكنًا وملبدًا بالغيوم.

سحبوا قواربهم على سقالة مهترئة من أعمدة من خشب «التنوب»، واستكشفوا معسكر الأخشاب. كان مكانًا كئيبًا مقامًا بين نفايات قِطَع قديمة. وتوسع الآن توسعًا مفرطًا بسبب أجمات «الحور» و«القيقب» و«البتولا». وكانت البنايات الخشبية، المغطاة بألواح قطران مُزِّقت أجزاء منها من

أسطح الأعمدة، على طراز بنايات الشمال. من الواضح أن المكان مهجور لسنوات. حتى سقالة الإنزال تحللت، بعدما تدحرجت الكتل الخشبية نحو التيار.

هتف «مار» وهو يشير إلى التيار:

- لم أفهم قَطُّ الفكرة من ذلك. أين تذهب الكتل الخشبية؟ مع التيار بالطبع. لكنه سيحملها إلى خليج «هدسن»، وليس هناك سوق لأخشاب «التنوب» أو لب الخشب.

قال البروفيسور:

- أنت مخطئ تمامًا. أي أحمق بوسعه أن يرى أن هذا النهر يسير في الاتجاه المعاكس. والكتل الخشبية هنا ستتجه إلى نهر «سانت لورنس»!

تساءلت الفتاة:

- لكن لماذا لا ننجرف مرة أخرى إلى العمران؟

أجاب البروفيسور بسرعة:

- لأنه أمر غريب. مثل كل شيء مر بنا حتى الآن! وهذا أمر بديهي لا يحتاج إلى توضيح!

ثم مضى مبتعدًا في غضب.

قال الصحفي بنبرة يشوبها الاعتراف:

- أظن أنه محق في كلامه. إن الأمر ذاته لا يفارق تفكيري، منذ البارحة أو اليومين الماضيين، أي منذ أن غيرت الشمس مكانها.

تساءل «جاندرن»:

- ماذا تقصد؟

- ألم تلحظها؟

- لم تشرق الشمس مطلقًا، لمدة يومين على الأقل!

زمجر «مار»:

- سأُجَن لو ضيعت وقتي في الجدال مع أحمق!

ثم ابتعد ساخطًا دون أن يوضح عبارته.

قالت الفتاة لـ«جاندرن» برجاء:

- ماذا سنفعل؟

انقبض قلبه وهو يرى عينيها المذعورتين، ويديها المبسوطتين، وخوفها الأنثوي (أخيرًا).

أجابها ببساطة:

- سننجو أنا وأنتِ. يجب أن ننقذهما، لا بد من أن نفعل ذلك.

تلاقت يداهما مجددًا، وللحظة تعانقتا. ورغم الهدوء المميت، اهتز فجأة طرف شجرة «تنوب» عند حافة الأفق، وانكمش كأنما تجمد، لكن لم يرَ أحدهما ذلك.

استقر الفارون، بعدما أنهكهم الإعياء، في «غرفة الحانة» أو كوخ النوم بالمعسكر. تاقوا إلى الشعور بالسقف فوق رءوسهم مجددًا، حتى لو كان مهشمًا. وبثت الآثار البشرية الراحة في نفوسهم؛ عتلتان مكسورتان بخطافين، وزوج من أحذية الثلوج تقشرت سيورها، ومرآة مكسورة، ورزنامة صفراء يرجع تاريخها إلى عام 1899.

لفت «جاندرن» انتباه البروفيسور إلى الرزنامة، لكن البروفيسور لم يعبأ. وتساءل:

- ماذا سأفعل بتقرير تعداد كندي؟

عكف على عد الأسِرَّة مررًا وتكرارًا. ونزَّ العرق من نتوء جبهته الكبير، الذي يحمل دماغه الضخم. وزعم «مار» أن الشمس المتسللة عبر ثقوب السقف آلمت رأسه فلعنها. لكن «جاندرن» لم يرَ شيئًا.

أردف «مار»:

- لكنه ليس مكانًا سيئًا. بوسعنا إشعال النيران في تلك المدفأة والشعور بالراحة. لكني لا أحب تلك النافذة.

تساءل «جاندرن»:

- أي نافذة؟ أين؟

ضحك «مار»، وتجاهله. التفت «جاندرن» إلى «□ي□يان»، التي غاصت في مقعد وثير، وأخذت تحدق في المدفأة. سألها:

- هل توجد نافذة هناك؟

همست:

- لا تسألني. أنا... أنا لا أعرف.

أمعن «جاندرن» النظر إليها لهنيهة بقلب وجل. ثم شرع يغمغم:

- اسمي «والاس جاندرن». «والاس جاندرن»، 37 شارع «وير»، «كامبريدج»، «ماساتشوستس». أنا في كامل قوايَ العقلية. وسأظل كذلك. سأنقذها! أعرف تمام المعرفة ما أفعله. وأنا سليم العقل. سليم العقل تمامًا، تمامًا!

وبعد فترة من جدال مضطرب عقيم، أشعلوا النيران وأعدوا القهوة. وقد ساعدهم ذلك كثيرًا، بالإضافة إلى علب الحساء. كما ساعد المعسكر أيضًا. إن احتماءهم بمنزل، حتى لو كان متواضعًا

ومحطمًا، لهو حاجز ممتاز ضد «الشيء» القادم من الخارج.

بسط الظلام أجنحته. ودخن الرجال، شاعرين بالامتنان لأن التبغ لم ينفد بعد. واضطجعت «□ي□يان» على سرير كوَّم عليه «جاندرن» أوراق «التنوب» من أجلها، وبدت نائمة. وتذمر البروفيسور كطفل من التقرحات التي أصابت يديه بسبب المجداف. واستغرق «مار» في الضحك بلا سبب بين الحين والآخر. وفجأة تساءل:

- في النهاية، ماذا يريد منا؟

أجاب البروفيسور بنبرة حادة:

- عقولنا بالطبع.

قال الصحفي ساخرًا:

- إذن، لن يحتاج إلى «جاندرن»!

قال البروفيسور:

- ولكنني لا أحسب «الشيء» يدمر البشر بقسوة. ومع ذلك...

توقف بغتة، إذ تدفقت إلى ذهنه ذكريات عن زوجته الميتة.

تساءل «جاندرن»:

- ما الذي قضى على هؤلاء الناس في «فالادوليد» بإسبانيا، حتى إن العديد منهم قضى نحبه في دقائق بعدما مسَّهم شيء غير مرئي ترك عليهم علامات حمراء خفيفة؟ لقد ضجت الصحف بتلك القصة.

قال «مار» وهو يتثاءب:

- هراء!

قال «جاندرن» في إصرار:

- صدِّقني هناك أشكال من الحياة أسمى منا، مثلما نسمو نحن البشر على النمل. وليس بوسعنا رؤيتها. هل رأت نملة إنسانًا من قبل؟ وهل كونت تصورًا له؟ لقد تركت هذه الأشياء آلاف الآثار في جميع أنحاء العالم. أتمنى لو كانت بين يدَيَّ الآن كُتُب مرجعية...

- كفاك كذبًا!

أصر «جاندرن»:

- إن «تشارلز فورت»، أعظم مرجعية في العالم فيما يتعلق بالظواهر غير المفسرة، يقدم حالات لا تُحصَى لحوادث لا يستطيع العلم تفسيرها. في كتابه «كتاب الملعونين». ويزعم أن هذه الأرض كانت فيما مضى موطن كائنات غير بشرية؛ إذ قامت جميع أنواع الأشياء بالاستكشاف والاستعمار والمحاربة للاحتلال. ويقول إن الجميع الآن حُذِّروا، باستثناء المالكين. وأتذكر بضع عبارات من

كتابه: «في الماضي، هبط هنا سكان مجموعة من العوالم، ووثبوا، وسبحوا، وأبحروا، وطاروا، وساروا، وتحركوا بمركبات، جاءوا فرادى وأفواجًا، وأتوا من أجل الصيد والتجارة والتعدين. ولم يستطيعوا المكوث هنا، وأقاموا مستعمرات هنا، وضاعوا هنا».

علَّق الصحفي ساخرًا:

- لا أصدق حرفًا مما تقول!

أغمض البروفيسور عينيه وفرك جبهته المنتفخة.

قال «جاندرن» في إلحاح:

- إنني أصدق ذلك! العالَم يعج بآثار الحضارات المندثرة التي اختفت بشكل غامض، ولم تترك وراءها إلا المعابد والآثار.

- كلام فارغ!

- ماذا عن جزيرة «إيستر»؟ وكل الأعمال الضخمة هناك وفي آلاف الأماكن الأخرى! «بيرو»، و«يوكاتان»، وغيرها، والتي بالتأكيد يعجز أي إنسان بدائي عن تشييدها؟

أجاب «مار»:

- كان ذلك منذ آلاف السنين. والنعاس يداعب جفنَيَّ. كفاك بحق السماء!

- حسنًا. لكن كيف نفسر ذلك إذن؟

فجأة قاطعهم البروفيسور:

- ماذا سيفعل «الشيء» بعقولنا بحق الشيطان؟ ماذا يريد في النهاية؟

- حسنًا، ماذا نريد من الأشكال الأدنى من الحياة؟ ربما طعام. وربما منتج أو شيء من هذا القبيل، أو ربما معلومات. وقد يريد «الشيء» أن يجري تجارب علينا، بالطريقة ذاتها التي نتطفل بها على بيت النمل. ولكن لا بد أن نتذكر أن أنسجة العقل البشري هي أعلى شكل منظم من المادة في هذا العالم.

قال البروفيسور معترفًا:

- أجل، لكن ماذا...

- ربما يريد أنسجة أدمغتنا من أجل الطعام، أو أغراض تجريبية، أو كمادة تشحيم، وكيف لي أن أعرف؟

تخيل «جاندرن» أنه ما زال يشرح الأمور، لكنه فجأة وجد نفسه يستيقظ في أحد الأسِرَّة. شعر بالبرد الشديد والتصلب والألم. وعلى أرض المعسكر تناثرت هنا وهناك رقائق ثلجية سقطت عبر ثقوب السقف.

صاح بصوت أجش يشبه النعيق:

- «□يـ□يان»! «ثوربرن»! «مار»!

لم يُجِب أحد. لم يكن هناك أحد ليجيب. زحف «جاندرن» بألم بالغ من سريره، وتلفَّت حوله بعينين لا تريان شيئًا. وفجأة أبصر البروفيسور، وازدرد لعابه.

كان البروفيسور ممددًا على ظهره بلا حراك في سرير آخر. وقد علا الرعب وجهه الشمعي. العينان الشاخصتان، والحدقتان المتسعتان عن آخريهما، أرسلتا رعدة في قلب «جاندرن». وعلى جبهته طُبِعت حلقة شاحبة، وغاصت نحو الداخل كأنه فارغ.

هتف «جاندرن»:

- «□يـ□يان»!

ابتعد عن الجثة مترنحًا. ثم تقدم متعثرًا نحو السرير الذي كانت ترقد عليه الفتاة. لكنه كان خاليًا.

على المدفأة، المكوم فيها خشب شبه متفحم، خشب منطفئ كأنما بواسطة غاز سام، ما زال إبريق القهوة موجودًا؛ وقد تجمد السائل بداخله وتصلب. ولم يكن ثمة أثر لـ«□يـ□يان» أو الصحفي.

عند واحدة من الدعامات المتدلية من السقف، حدق «جاندرن» برعب في خط مستقيم من العلامات المتجمدة، ذات الشكل الحلقي.

- «□يـ□يان»! «□يـ□يان»!

لا رد!

بوجه مكفهر وشاحب وعينين تريان بصعوبة أخذ «جاندرن» يتلفت حوله ببطء، وجسده يرتجف برعب غير مسبوق. اختفت الحقيبة القماشية والمؤن. ولم يكن ثمة شيء عدا إبريق القهوة والمسدس المعلق بخاصرته.

ثم استدار بنظرة محدقة، كانت جمجمته تبدو فارغة كطبل ممزق، وزحف مترنحًا نحو الباب ثم خرج إلى الجليد.

أخذ الثلج يهطل بثبات من سماء رمادية. وخلت الأشجار من الأوراق.

شجر «البتولا» و«الحور» و«القيقب» جميعها بلا أوراق. ومن أشجار «الصنوبر» تساقطت أوراق خضراء باهتة. وعلى المياه الضحلة القليلة عبر النهر رقد الثلج الأبيض على طبقة جليدية رقيقة.

جليد؟ ثلج؟

حدق «جاندرن» برعب. إذن، لا بد أنه غاب عن الوعي لثلاثة أو أربعة أسابيع؟ لكن كيف...؟!

فجأة تساقطت رقائق من الثلج من الفروع العليا للأشجار التي تحيط المدى. وتتبع عالِم الجيولوجيا آثار أقدام شبه مطموسة متجهة صوب منطقة الإرساء.

كان جسده ثقيلًا. وأخذ يتنفس بصفير، ماضيًا نحو النهر. ورغم أن الضوء كان خافتًا، فإنه آذى عينيه. حدق بارتباك عندما رأى أن أحد القاربين قد اختفى. وضغط بيده على رأسه، حيث شعر أن عصابة حديدية أخذت تضغط أكثر وأكثر.

- «□ي□يان»! «مار»! هل من أحد هناك؟

لم يسمع حتى الصدى. خيَّم الصمت على العالَم.

صمت، وبرودة ساحقة. اكتنفت الكآبة المشئومة كل شيء.

بعد مرور بعض الوقت، رغم أن الزمن فقد الآن واقعيته وأمده، عاد بتثاقل إلى المعسكر وتعثر. ولم ينتبه للجثة الشاخصة التي ارتطم بها بجانب المدفأة، وحاول أن يفكر، لكن عقله استنفد قواه. كل شيء كان ممتزجًا بتشوش رمادي. وطفق الثلج يهبط من السقف.

فجأة صاح بغضب:

- حسنًا، لماذا لا تأتي وتمسك بي أيها «الشيء»؟ ها أنا ذا. اللعنة عليك، تعالَ ونَل مني!

أصوات. فجأة سمع أصواتًا. أجل. ثمة شخص بالخارج. هناك. نهض مغمومًا ومضى مترنحًا نحو الباب. وحدق بعينين شبه مغمضتين في الجو الرمادي، ورأى جسدين عند منطقة الإرساء. بلا مبالاة وفقدان للشعور تعرَّف الفتاة و«مار».

تساءل بغموض وقد داخله الحنق والغضب: «لماذا يزعجاني مجددًا؟ ألا يمكنهما الرحيل وتركي وشأني؟».

ثم عاد له بعض التفكير المنطقي، واستشعر أنهما يتجادلان. كانت «□ي□يان» تشير إلى قارب جُر منذ قليل من الثلج الرقيق، بينما كان «مار» يُلوِّح بذراعه. وفجأة صاح «مار» بغضب شديد، وتحول عنها، وتقدم بخطوات متثاقلة وظهر محني نحو المعسكر.

صاحت وهي تشير إلى اتجاه التيار:

- لكن انتظِر! هذا هو الطريق!

كان الثلج يغطي سترتها المحبوكة.

رد «مار» بحدة:

- لن أذهب إلى الطريق الآخر أيضًا! سأمكث هنا!

جاء حاسرًا رأسه. تخلل الثلج لحيته الخفيفة، لكنه كان يذوب على رأسه إذ يسقط، كأنما به حمى رفعت حرارة مخه لدرجات غير مسبوقة.

- سأمكث هنا طوال الصيف. دعوني وشأني!

ارتخى جفناه الثقيلان، وانفرجت شفتاه المتورمتان والبشعتان عن بعض أسنانه.

تباطأت «□يـ□يان» خلفه، وركلت الثلج الشبيه بالرماد. راقبهما «جاندرن» بلا مبالاة. «كائنات بشرية تافهة!».

فجأة أبصر «مار» «جاندرن» واقفًا عند المدخل، فتوقف بغتة. وسحب مسدسه، وصوَّبه نحو «جاندرن» قائلًا:

- لقد خرجت! لماذا بحق... لا تموت؟

تمكن «جاندرن» من أن يجيب:

- أبعِد هذا السلاح أيها الأحمق! ما زال بوسعنا الهروب، لو بقينا جميعًا معًا.

توقفت الفتاة وكأنما تحاول فهم ما يجري.

تساءل الصحفي ممسكًا مسدسه بثبات:

- هل سترحلان وتتركاني وحدي؟

راقب «جاندرن» فوهة المسدس بلا مبالاة تامة. وتملَّكه فضول غامض. «ماذا تُراه شعور أن يُطلَق عليه الرصاص؟».

سحب «مار» الزناد.

صوت طلقة!

طاشت طلقة الخرطوشة.

ضحك «مار» ضحكة مفزعة، وتقدم بخطى ثقيلة. وقال:

- إنه يستحق ما أصابه! حري به ألا يعود مجددًا!

وفهم «جاندرن» أن «مار» رآه يسقط صريعًا. لكنه ما زال يشعر بنفسه يقف هناك، حيًّا يُرزق. مضى يجر قدميه مبتعدًا عن الباب. لا يهم إن كان حيًّا أو ميتًا، يجب إنقاذ «□يـ□يان».

اتجه الصحفي نحو الباب، وتوقف، ونظر إلى الأسفل، وضحك هازئًا ثم دلف إلى المعسكر. أغلق الباب. وسمع «جاندرن» صوت سقوط المزلاج الخشبي البالي للقفل. ومن الداخل ترددت ضحكة وحشية شنيعة.

ثم أجفل عالِم الجيولوجيا حينما شعر بلمسة على ذراعه.

سمع «□يـ□يان» تقول في عتاب:

- لماذا هجرتنا بهذا الشكل؟ لماذا؟

استدار، يكاد لا يراها.

أجاب بصوت أجش:

- أنصتي. سأعترف بأي شيء. لا بأس. لكن انسي هذا الموضوع الآن. لا بد من أن نرحل عن هذا المكان. لقد مات البروفيسور، هناك، وجُن «مار»، وحبس نفسه بالداخل. لا فائدة تُرجَى من المكوث هنا. لا تزال لدينا فرصة. هيا بنا!

أمسك ذراعها، وحاول أن يجرها نحو النهر، لكنها تمنعت. أسقمته الكراهية التي ارتسمت على وجهها، وبعثت في أوصاله رجفة قوية.

تساءلت:

- أذهب... معك؟

أجاب غاضبًا:

- أجل، بربكِ. وإلا سأقتلكِ فورًا. لن ينال منكِ مهما كلف الأمر!

سرت في عظامه برودة هائلة واخزة. وظهر توًّا على الجليد بجانب المعسكر صف طويل من العلامات التي اتخذت شكل الكأس. وانبعث منها بخار أزرق باهت لبرودة يستحيل تصوُّرها.

تساءلت الفتاة:

- فيم تحدق؟

قال مشيرًا بإصبع مرتجف:

- تلك العلامات! في الثلوج، هناك، أترينها؟

- وكيف توجد ثلوج في هذا الموسم؟

كاد أن يبكي شفقةً عليها وحبًّا لها. كان الثلج يتساقط بثبات على قلنسوتها الحمراء، وشعرها الفوضوي المتشابك، وسترتها، ومع ذلك كانت تقف أمامه وتثرثر عن الصيف. سحب «جاندرن» نفسه من دوامة إعياء تشده إلى الأسفل. واندفع نحوها:

- لا يهم إن كنا في الصيف أو الشتاء! ستأتين معي!

أمسك ذراعها بقنوط قاسٍ ومؤلم، لينقذها. وكمنت في روحه فكرة القتل أيضًا. وعلم أنه سيخنقها بيديه، إذا اقتضى الأمر، قبل أن يتركها هناك، «للشيء» الرهيب. قال:

- ستأتين معي، وإلا أقسم بالله...!

ارتفعت صرخة «مار» من المعسكر، فاستدار «جاندرن» بسرعة نحو الباب. وتعالت الصرخة أكثر وأكثر، وبحدة أشد، مثل صرخات الأدلاء الهنود الذين هربوا منذ ردح من الزمان كما بدا لهم الآن. وكانت الصرخة تبدو أنها مستمرة لساعات، وتزداد ارتفاعًا كأنما كان ينتزعها من الجسد البشري عذاب لا يمكن تصوُّره في هذا العالَم. أعلى، وأعلى...

ثم توقفت.

ألقى «جاندرن» بنفسه على الباب الخشبي؛ فتحطم المزلاج، وتشظى الباب نحو الداخل.

تراجع «جاندرن» إلى الخلف صارخًا. وغطى عينيه بيد مرتعشة، تشبه مخلبًا.

ابتعد مترنحًا وهو يغمغم:

- اذهبي بعيدًا يا «□ي□يان»! لا تأتي إلى هنا، لا تنظري...

من الباب زحف شيء شبه بشري؛ شيء غريب ومحطم ومنحنٍ، شيء معاق ومنكمش ورخو، وكان يئن.

كان الشيء، الذي لا يزال «مار»، يجثو على جانب واحد، يرتجف، ويُصدِر أنينًا. حرك يديه مثلما تُحرِّك النملة المسحوقة قرنَي استشعارها، بتشنج، وبلا معنى.

وفجأة تبخر الخوف من قلب «جاندرن». وسار بثبات نحو «مار»، الذي ما انفكت في صدره أنفاس متقطعة تتردد. ومن المعسكر انبعثت رائحة لا مثيل لها على الأرض. وغطى لون رمادي خفيف عتبة الباب.

أمسك «جاندرن» بذراع الصحفي المنهار. وأطلت من عينَي «مار»، اللتين لا تريان شيئًا، نظرة خبيثة. بدا كائنًا بظهر مكسور، سُحِق جوهره ودُمِّرت طاقته، ومع ذلك لا يزال فيه نبض ورمق حياة. مخلوق شُرِّح.

سحبه «جاندرن» بعيدًا على الثلج. لم يقاوم «مار»، بل ترك نفسه، مُطلِقًا أنينًا واهنًا. كان كسيحًا وعاجزًا ومحطمًا. وتبعتهما الفتاة، وجهها أبيض بارد كالثلج المتساقط عليه.

وعلى هذه الحال وصلوا إلى منطقة الإرساء عند النهر.

قال «جاندرن»:

- هيا الآن، لنهرب من هنا!

لم يقُل «مار» شيئًا. لكن حينما حاول «جاندرن» أن يضعه في القارب، انتعش شيء ما في الصحفي بكراهية سريعة ومجنونة. وأطلق هذا الشيء فيه تشنجات من المقاومة الضارية. وسال من شدقَي «مار» لعاب من الدماء والزَّبد. وأطلق أصواتًا مروعة كالحيوان. وعوى بشكل مخيف، وعض وخمش، وتلوى وزحف! وحاول أن يغرز أسنانه في قدم «جاندرن». وقاتل بضراوة، مثلما قاتل البشر بالتأكيد في الأيام السحيقة التي تفوق التصور، قبل حتى العصر الحجري. وساعدته «□ي□يان». كان غضبها غضب قطة برية.

أوشكا أن يقضيا على «جاندرن». وكادا يسحبانه نحو الأسفل، ويُسحبان معه كذلك، إلى النهر الأسود الذي يجري بسرعة تحت الثلج. ولم يتمكن من التغلب عليهما إلا بعدما نحَّى عنه كل الأفكار الغامضة وما تمليه قواعد المروءة، وبعدما قاومهما بضراوة كادت تصل للقتل لو اضطره الأمر.

أفقدهما الوعي، وأوثق أيديهما وأقدامهما بحبال القوارب، ودحرجهما إلى القارب الأكبر، وابتعد.

فيما بعد، اكتنفته غشاوة النسيان التام.

وبعد مرور أسابيع، وفي مستشفى «رويال فيكتوريا» في «مونتريال»، علم «جاندرن» أن فرقة من حراس الغابات عثرت عليهم؛ إذ وجدتهم ينجرفون في بحيرة «موساوامكيج». واستوعب عقله تلك المعلومة ببطء في فترة غامضة كضباب «أيسلندا».

على كل حال، منحته وفاة «مار» وبقاء الفتاة على قيد الحياة شيئًا ثابتًا؛ شيئًا بوسعه التمسك به، ويمكنه العودة إلى العالَم الحقيقي مجددًا.

وبالفعل عاد «جاندرن» مرة أخرى. شفاه الزمن، مثلما شفى الفتاة. وبعد فترة طويلة جدًّا، تجاذبا أطراف الحديث. وبحرص تحسس آبار ذاكرتها. وعرف أنها لا تتذكر شيئًا. ومن ثَم أخبرها بكذبات بيضاء عن القوارب التي انقلبت، والوفاة المأساوية للجماعة عداهما، ولكن بوصف موجز وحقيقي.

وصدَّقته «□ي□يان». كان «جاندرن» يعلم أن القدر كان رحيمًا للغاية بهما.

لكن «□ي□يان» لم تفهم قط لماذا طلب منها «جاندرن» عدم ارتداء خاتم الزواج أو أي خاتم على الإطلاق، بعد فترة قصيرة من زواجهما.

قالت لنفسها: «إن الرجال يتصرفون بغرابة أحيانًا!».

وكانت تلك العبارة تغطي آلامًا نفسية عديدة.

بدأت الحياة تتخذ شكلًا منطقيًّا وعاديًّا بالنسبة لـ«جاندرن»، حياة هونتها «□ي□يان». ولكن على فترات متفاوتة طويلة، كانت الذكريات تستيقظ حتى في الوقت الحاضر، ذكريات تزحف بين أوحال الألغاز الكونية، التي كان الاقتراب منها ضربًا من الجنون، أو حينما كان «جاندرن» يبصر- في بعض الأوقات - خاتمًا من أي نوع، كانت تنتاب قلبه قشعريرة باردة تفوح منها رائحة أهوال الأبدية.

ومن الظلال وراء حدود عالمنا تلوح الأشياء التي نأمل ألا تُعرَف في الأرض حتى انقضاء الدهر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون E-BOOK

الكاتب

جورج آلن إنجلاند (1877-1936): كاتب ومستكشف أمريكي، اشتُهِر بأعماله الأدبية في مجال الخيال العلمي. وُلِد «جورج» في ولاية «نبراسكا» في عام 1877. ودرس في جامعة «هارفارد»، ونال شهادة البكالوريوس في الآداب ثم درجة الماجستير. وتعكس العديد من كتاباته نزعة اشتراكية، كما يتضح فيها تأثُّره بكتَّاب مثل: «هـ. ج. ويلز»، و«جاك لندن»، و«ألجرنون بلاكوود». ومن بين أعماله: «العالم المهجور»، و«الظلمة والفجر»، و«وراء البحار البيضاء». تُوفِّي «جورج» في عام 1936.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

المترجمة

رفيدة جمال: باحثة ومُترجِمة مصرية، حاصلة على درجة الماجستير في الأدب الإنجليزي بجامعة حلوان. شاركت في العديد من النصوص المُترجَمة في صحيفة «أخبار الأدب»، ومجلات: «عالم الكتاب»، و«الدوحة»، و«الفيصل»، و«الهلال»، و«الثقافة الجديدة»، وغيرها. كما ترجمت رواية «الحديقة المنسية» للكاتبة الأسترالية «كيت مورتن» عام 2021. صدر لها عن دار «منشورات ويلز» ترجمة قصتَي: «الحشرة الغريبة» لـ«هوارد فاست»، و«عشاء مريخي» لـ«فيليب ك. ديك».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

متميزون
للكتب النصية
E-Book

لينك الانضمام الى الجروب – Group Link

لينك القنـــــاة – Link

Table of Contents

- عن الرواية..
- مقدمة..
- الكاتب
- المترجمة